

الفصل السادس

حول أسلوب في العتب

يأبى الأستاذ مصطفى صادق الرافعي إلا أن نشغل به، فقد أطال الجدل حول «أسلوبه في العتب»، فلما أعلن انصرافنا عن هذا الموضوع أخذ يجادلنا في أسلوبنا، ولعله أراد أن يتأثر لنفسه، فنقد أسلوبنا كما نقدنا أسلوبه، ولكننا نتقبل نقده على نحو كنا نود لو نحاه بإزاء نقد الناقدين له، نتقبل نقده شاكرين متواضعين لا ساخطين ولا مجادلين، فلسنا نزع لأسلوبنا امتيازاً من الأساليب، ولسنا نصفه بأنه من أنواع الزخرف، ولسنا نزع أن الأعناق تقطعت دونه عصوراً، ولسنا نزع أن الكتاب غير قادرين على إتقانه مهما بالغوا وتكلفوا في المبالغة، لسنا نزع لأسلوبنا شيئاً من ذلك، إنما نشعر فنكتب، وقد نجده مرة ونتورط في الردية مرة أخرى، وقد نصيب حيناً ونتورط في الخطأ حيناً آخر، فلمن شاء النقد أن ينقد، ولمن تفضل بإرشادنا إلى مواضع الخطأ أو الرداءة أن يرشدنا مشكوراً.

أما بعد، فلسنا نحكي بأسلوبنا أسلوباً آخر قديماً أو حديثاً، ولسنا نتكلف هذه المحاكاة، وإنما هي طريقتنا في التفكير وطريقتنا في الإملاء، فإذا أراد الأستاذ أن يقدر هذه الطريقة ويؤرخ لها في كتابه فنحن شاكرون له عنايته وحسن ظنه، وإذا أراد الأستاذ أن يزدريها ويربأ بكتابه عنها فله ذلك غير ملوم ولا معاتب.

يأخذنا الأستاذ بكلمة «مفزعة» وليس في «المفزعة» مأخذ فهي كلمة يرضاها القياس ويقرها السماع، والرجوع إلى المعجمات أيسر على الأستاذ في هذه الكلمة من الرجوع إلى هذه المعجمات في وضع «أن» بعد «هب»، وأيسر عليه من تلمس المعاذير ومن تتبع ما

قال ابن بري في مناقضة الحريري، ولعل الأستاذ يذكر أنا حمدنا له حسن حظه إذ وجد من ابن بري عاذراً ومُقْبِلاً.

ويأخذنا الأستاذ بكلمة «مهلعة»، وليس في هذه الكلمة مأخذ، فإن كتب النحو وكتب اللغة سواء منها ما يقدر الأستاذ وما لا يقدر تبيح للناس أن يُعْدُوا الأفعال اللازمة الثلاثية بالهمزة قياساً مطرداً، فالله يأذن لنا في أن نعدي «قام» و«قعد» و«رضي» وما إليها بالهمزة فنقول: «أقامه» و«أقعه» و«أرضاه» و«أغضبه»، ولسنا ندري لم يحظر الأستاذ ما أباح الله! فقد يحمى للناس أن يتشددوا في اللغة، ولكن يجب عليهم أن يتشددوا في قصد وإيثار للصواب، والإسراف شر في كل حال، وقد يكون شراً من الإسراف شيء آخر تورط فيه الأستاذ ونحب أن نلفته إليه في لطفٍ ورفق.

كتب الأستاذ إلينا مع رسالته هذه كتاباً أراد ألا ينشر، فكتب في رأسه «ممنوع نشر هذا الكتاب»، فالأستاذ يعلم أن هذا ليس من أدب الخطاب في شيء، وأن الله لم يمنحه من القوة ولا من السلطان ما يبيح له وضع مثل هذه الصيغة المبتذلة، وهو يعلم أننا لو أردنا نشر كتابه لما منعتنا من ذلك هذه الصيغة، وإنما عرفنا رغبته في أن يظل كتابه مكتوماً فكتمناه، وإن كنا لم نفهم لِمَ أئّر أن يكتب هذا الكتاب.

على أن إعراضنا عن نشر هذا الكتاب لا يمنعنا أن نشير إلى شيء جاء فيه، يندرنا الأستاذ بكلماتٍ قد يتناولنا بها في صحفٍ أخرى، فهل قرأ الأستاذ: «زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً».

وهل قرأ الأستاذ قول الآخر: «تمنّاني ليقتلني زياد».

على أنني أعتذر إلى قراء هذه الصحيفة من إطالة الجدل فيما لا خير فيه، وأعدهم بأني سأستأنف معهم الحديث عن أبي نواس في الأسبوع الآتي.